استغرقت عملية الترميم) 25 (عاماً:

جامع ومدرسة العامرية وقلعة رداع.. من المسئول عن حمايتها ؟!

اقتحام المسلحين لأهم المعالم التاريخية برداع بداية مسلسل خطير

مدير آثار البيضاء يحذر الجميع من تهديدات محدقة بالعامرية التاريخية

تعد المعالم الأثرية والتاريخية والحضارية شواهد حضارية تعرف بقيم وأصالة كل أبناء الوطن .. بل وتعد مفخرة ترفع هامات ورؤوس اليمنيين على هذه المعمورة والحفاظ عليها مسئولية الجميع الدولة والمجتمع .. وعلى الجميع النأي والابتعاد عن أي صراعات داخل هذه المعالم لأنها تمثل ثروة وطنية تهم كل أبناء اليمن..

كتب/ صادق هزبر

ويعد مسجد وجامع العامرية برداع من أهم المعالم الإسلامية في اليمن .. ومنارة مشرقة تعبر عن أجمل وأرقى فنون وزخرفة العمارة الإسلامية في العالم.

وما يهم الجميع هو اقتحام هذا المعلم البارز من قبل مسلحين وكسر أبوابه والتمركز في الطابق السفلي للجامع وهذا ما أكده الأخ يحيى النصيري –مدير عام الآثار بمحافظة البيضاء– الذي ناشد الجميع ضرورة الحفاظ على هذا المعلم الأثري البارز.

وقال لـ»الثورة السياحي»: إن جامع ومدرسة العامرية التي استغرق ترميمها ربع قرن من الزمان .. من قبل الحكومة اليمنية وهولندا الصديقة، وهي تعد منارة مشرقة في فنون العمارة الإسلامية بل وإرث حضاري عظيم، وعلى الجميع النأي بصراعاتهم عن هذه المعالم التي تعد ملكاً للشعب اليمني وللإنسانية جمعاء.

نبذة تاريخية

حصلت مدرسة وجامع العامرية على العديد من الجوائز أهمها جائزة الآغا خان في حفل عالمي ضخم ضمن تسعة معالم إسلامية في العالم نتيجة لتميزها في فن العمارة الإسلامية.

المدرسة العامرية :

– تعد من أهم المدارس اليمنية وهي آية في الفن الإسلامي ومن روائع منشآت الدولة الطاهرية، شيدها الملك الظافر صلاح الدين « عامر بن عبدالوهاب بن داود بن طاهر « في ربيع الأول عام ٩١٠ (هجرية) . أيلول سنة١٥٠٤ (ميلادية) وذلك حسبما دون في الأشرطة الكتابية، وهو الملك الرابع لعائلة بني طاهر التي خلفت الرسوليين في اليمن ، وذلك في السنين الأولى من (القرن السادس عشر الميلادي) ، حكم « عامر بن عبد الوهاب « حتى وفاته سنة ٩٢٣(هجرية . ١٥١٧ ميلادية) ، وذلك خلفاً لوالده الملك المنصور « عبد الوهاب بن داوود بن طاهر»عند وفاته سنة ٨٩٤ (هجرية .١٤٨٩ ميلادية) وقامت الحكومة اليمنية والهولندية بترميمها في الثمانينيات.

وهذه المدرسة تتكون من ثلاثة طوابق يعلوها ست قباب وكل قبة مقامة على دعامتين وعلى كل دعامة أقيم ستة عقود، كما تتميز بالزخارف الجصية التي تزين الممرات والقبب والجدران الخارجية، وقد خصص الطابق الأول «الأرضي» سكناً لإيواء الطلبة ، أما الطابق الثاني فقد خصص للصلاة والعبادة والطابق الثالث به مقصورة وقاعة .

– الوصف المعماري :

١ – الطابق الأرضي: مقسم على هيئة غرف يفصل بينها جدران سميكة يدخل إليها من خلال بابين في الجدار الغربي وباب في الجدار الجنوبي وباب في الجدار الشرقي وفي الركن الجنوبي الغربي توجد حمامات « مطاهر « خاصة للطلاب تتصل بها مجار لانتقال المياه إليها .

٢– الطابق العلوي «الثاني»: وقد خصص هذا الطابق للصلاة والعبادة ويتكون من بيت الصلاة وهو مستطيل الشكل تغطيه ست قباب مقامة على عقود مدببّة يحملها عمودان وأوجه العقود وبواطنها مزينة بزخارف جصية وملونة تتمثل بزخارف هندسية ونباتية، بالإضافة إلى بعض الكتابات القرآنية، كما يزين بواطن القباب مجموعة من الزخارف الملونة المتمثلة في أشكال نباتية وهندسية أما أقطاب القباب فتزينه كتابات قرآنية كتبت بخط الثلث ويدور حول جدران « بيت الصلاة « شريط كتابي ملون يحتوي على ألقاب السلطان « عامر بن عبد الوهاب « .

– أما المحراب: فيتوسط الجدار الشمالي وهو عبارة عن تجويف بسيط حوله زخارف جصية ويفتح بيت الصلاة بثلاثة أبواب على الرواق الشمالي المحيط بالفناء ويحيط ببيت الصلاة ثلاثة دهاليز من الجهات الشرقية والغربية والشمالية .

أما الفناء» الصرح»: فهو مستطيل الشكل تحيط به أربعة أروقة ، ويفتح كل رواق على الفناء بثلاثة عقود مدببة ترتكز على دعامات وأعمدة رخامية.

ويدخل إلى المدرسة من الطرف الجنوبي للواجهة الشرقية والمدخل بارز عن الواجهة وهو في مستوى الطابق الثاني ويصعد إليه عن طريق سلالم حجرية.

الثورة تفتح ملفاً حول مدينة صعدة التاريخية: .

الخراب وإعادة الإعمار

الحلقة الأولى

○ مستشار هيئة المدن التاريخية : نسبة الخراب في المدينة تتراوح مابين 35- 40%

○ مختصون: مايقوم به صندوق إعادة الاعمار في المدينة خراب ودمار متعمد يخالف كل المعايير الدولية

<... صعدة تلك المدينة القابعة في أقصى الشمال والتي كانت وعلى مر العصور السابقة منارة وقلعة علمية شامخة دارت على رحاها الكثير من الأحداث التي ساهمت بشكل أو بآخر في مناخات تاريخية ذات تنوع فريد، ولعل أبرز الجوانب التاريخية المشرقة التي يشهد لها الكثير من التاريخيين محليين وأجانب تتجلى بكل مفرداتها وفرادتها في مدينة صعدة التاريخية ذات السور المحيط بها والأبواب الشهيرة التي تنفذ إليها أشهرها باب السلام – باب اليمن – باب نجران – باب همدان...الخ« هذه الأبواب تأخذك إلى معمار فريد ذي تنوع بديع وزخارف متعددة الاشكال والالون وغيرها من الاشياء التي تحويها هذه المدينة التاريخية وهذه الاشياء سوف نترك المجال للمختصين كي يتحدثوا عنها.

فمدينة صعدة القديمة تشير الكثير من المصادر التاريخية إلى أنها تأسست بعد مجيء الامام الهادي يحيى بن الحسين في العام ٢٨٤هـ وبعدها بأربع أو خمس سنوات انتقل الامام الهادي من المدينة القديمة تحت سفح جبل »تلمس« وتدلل المصادر التاريخية على أن المدينة القديمة كانت تسمى »جماع« قبل الإسلام »في الجاهلية« وبعد ذلك تحولت صعدة هذه التي أسسها الإمام الهادي وهذا ما أكده المهندس المعماري ياسين غالب مستشار الهيئة العامة للمحافظة على المدن التاريخية والذي شارك في إعادة إعمار المدينة القديمة بعد الخراب الكبيرالذي لحقها جراء الحرب السادسة وأضاف ياسين أن صعدة القديمة أو مدينة الهادي حتى يستقيم الحال كونه أول من أسسها وبنى مسجدها الشهير القائم والذي يحمل إسمه وبالمناسبة فقد توفي الامام الهادي في العام ٢٩٨هـ

تحقيق/
عبدالباسط محمد النوعة

ولم يكمل بناء المسجد ووصل البناء عند وفاته إلى النوافذ، وبعد الإمام الهادي بدأت هذه المدينة تتشكل وتتكون وهكذا بمراحل تاريخية متعددة، ومتعاقبة ولعل أقدم حاراتها تتمثل في حارة التوت وحارة الدرب، ومدينة صعدة القديمة حاضرة اليمن الشمالي مدينة لايمكن أن تتكرر أبداً ونمطها المعماري متميز لايمكن أن يوجد له شبيه أبداً وإذا حل بهذه المدينة شيئ وفقدنا ذلك التاريخ العظم فإنه كمن فقد إحدى عينيه واليمن ستطلق عليها اليمن الاعور إذا تدمرت صعدة القديمة لأنها الآن تواجه أخطاراً أعظم بكثير من الخراب الذي حل بها وكنا مرشحين هذه المدينة لتكون ضمن قائمة التراث العالمي لأنها تستحق وبجدارة كما أن الياجور الذي استخدم في البناء يختلف عن الياجور في صنعاء القديمة وزبيد وغيرها من خلال المكونات وكذلك اللون حتى الزخارف متنوعة ومختلفة عاماً عن باقي المدن التاريخية ونجارتها وكذا نوافذها وغيرها..

دمار وخراب

هذه نبذة تاريخية عن مدينة صعدة القديمة مدخل لمانريد التحدث عنه فقد مرت حروب كثيرة على محافظة صعدة، بشكل عام وصراعات لكن الحرب الأخيرة »السادسة« نالت من هذه المدينة وامتدت لتطال معالم ومنازل تاريخية فيها.. الامر الذي أثر وبشكل كبير على تاريخ هذه المدينة وأفقدها جزءاً كبيراً من حضارتها التي ظلت ولسنوات كثيرة تفاخر به وبالحفاظ عليه ولتحديد الاماكن المتضررة يقول الأخ: ياسين غالب نسبة الدمار في المدينة القديمة تتراوح بين ٣٥–٤٠٪ من إجمالي المدينة وهي نسبة كبيرة جداً تشمل مساجد تاريخية ومنازل وغيرها وتحديداً يمكننا القول أن الخط الذي يربط باب السلام ويمر بمنطقة السوق من تلك الجهة شمالاً هي المناطق التي تعرضت للدمار أما الخط الذي يتجه إلى باب اليمن الجنوبي والذي يحوي جامع الامام الهادي لم يتضرر ومن تلك المنطقة التي من باب همدان إلى باب السلام ثم باب نجران شمالاً هذه المنطقة استهدفت وللأسف الشديد فإن هذه المنطقة تعتبر أهم منطقة تاريخية في لمدينة وفيها منازل تضررت يصل عمرها إلى ثمانية قرون، ومن المميز لمدينة صعدة أنها مدينة متواترة معمارية ولايوجد تدخلات أو لمسات غير يمنية وهذا يمثل أصالة فريدة حتى أن الدويلات التي عاشت في اليمن مثل الرسولية الصليحية وغيرها لم تؤثر عليها معمارياً حتى الاتراك وغيرهم فهي مدينة يمنية الطابع المعماري بامتياز.

وتقول أمة الرزاق جحاف مدير عام البيوت التقليدية في الهيئة العامة للمحافظة على المدن التاريخية: شاهدت الكثير من الصور التي توضح الدمار والخراب الذي حل بمدينة صعدة القديمة، وقد ذرفت عيناي بالدمع ولم استطع المقاومة فقد كان المنظر محزناً مؤلما للغاية هذا التراث وهذا التاريخ وذلك المعمار الذي كانت تزخر به المدينة التي عرفتها وهي عامرة قبل الحروب هل أصبح بعض ذلك المعمار التاريخي مسوى بالتراب والمنازل متناثرة بصورة سيئة للغاية، أعتقد أن كل يمني غيور على تراثه وتاريخه ومجد أجداده لايسعه عند مشاهدة الصور إلا الحزن العميق كما أن الذين يربطهم حب وتخصص بالتراث والتاريخ لاشك أنهم عندما ما يشاهدون تلك الصور سوف تذرف عيونهم دموعاً ربما يفوقونني وبشدة.

إعمار مدمر للمدينة

ولعل الدولة قد أنشأت صندوقاً لإعادة إعمار محافظة صعدة يتضمن هذا الصندوق إعادة إعمار المدينة القديمة، فكيف عمل هذا الصندوق مع الخصوصية التاريخية التي يجب أن يتم التعامل بها مع مدينة صعدة التاريخية وضرورة اتباع معايير وخصائص معينة لإعادة الإعمار فيها.

وهنا يقول الأخ/ عبده جتوم مدير عام المدن التاريخية بمحافظة صعدة: مايحدث في مدينة صعدة القديمة خراب ودمار متعمد للتراث يمارسه صندوق إعادة الاعمار فهو يعمل على تدمير المدينة بإمكانيات دولة وبحجة إعادة الاعمار فمدينة صعدة القديمة اشبه بالكتاب الذي يحوي عدداً كبيراً من الصحفات فاذا أردنا أن نقطع من هذا الكتاب بعضاً من صفحاته هل يصبح الكتاب بعدها مفيداً بالتأكيد لا وهذا مايسعى وراءه صندوق الاعمار وبصورة متعنتة ومتجاهلة لكل الجهات المختصة، وقد حاولنا مراراً وتكراراً توضيح الامر لهم لكن دون جدوى وقد ابلغنا كمعنيين بالحفاظ على هذه المدينة الجهات المعنية بدءاً من قيادة المحافظة وحتى قيادة هيئة المدن التاريخية ووزارة الثقافة .

واتهم »جتوم« صندوق إعادة الاعمار بأنه معاد للتراث وإلا مامعنى تحايله وإهماله للتعامل الصحيح مع مدينة صعدة القديمة وإعادة إعمارها بما يتناسب مع خصوصياتها التاريخية.

ياسين غالب والذي عمل مع الصندوق كاستشاري فيما يتعلق بمدينة صعدة القديمة قدم استقالته لأسباب جوهرية سوف نتطرق إليها في حلقات قادمة وهنا يقول غالب: مايقوم به الصندوق تشويه وعبث وتدمير للمدينة بملايين وهو جرم لايغتفر كونه يستهدف تراثاً وهوية تتنامى منذ أكثر من ألف عام لتأتي جهة لاتفقه بأمور التاريخ شيئاً وبفلوسنا يدمروننا ولهذا ينبغي توقيف هذا الصندوق من العمل في مدينة صعدة القديمة لان مايعمله فيها مخالف لكل الشرائع والمواثيق والمعايير الدولية التي أصبحت اليمن شريكاً أساسياً فيها منذ أن دخلت مدن قديمة مثل شبام حضرموت وزبيد قائمة التراث العالمي »اليونسكو« وبهذا أنا أعتقد أن هناك مؤامرة تستهدف هذه المدينة وإلا ما معنى أن يأتوا بصندوق لاعادة الإعمار لايفقه بأمور الحفاظ على المدن التاريخية والتعامل معها ولايوجد لديهم أدنى خلفية لماهية الحفاظ مع التراث التقليدي والتاريخي.. والخراب الذي حل بالمدينة كوم وإعادة الاعمار فيها كوم أوسخ بكثير من الحرب، حتى أن المقر الرئيس لهذا الصندوق المعني بصعدة موجود في صنعاء..

وهنا دعا الدكتور عبدالله زيد عيسى رئيس الهيئة العامة للمحافظة على المدن التاريخية إلى ضرورة إيقاف صندوق الاعمار عن العمل مؤقتاً في مدينة صعدة القديمة حتى يتم تقييم العمل السابق والاتفاق على آلية واضحة للعمل المستقبلي.

وفي العدد القادم سنحاول مناقشة الاجراءات التي يعتبرها مختصو المدن التاريخية غير سليمة والتي تعامل بها صندوق إعادة الاعمار تجاه مدينة صعدة القديمة كما سنحاول التواصل والالتقاء بمسؤولي الصندوق للاطلاع على وجه نظرهم وردهم على ما يقوله مختصو الآثار ويهمنا في النهاية أن تظل مدينة صعدة القديمة قلعة تاريخية وحضارية شامخة ولا تفقد هذا الرونق بفعل إجراءات ربما يتم تعديلها إلى الانسب.